النُّسخة الأُوَّليَّة من تاريخ كَفْر رَمَّاحٍ

للشَّيخ محمَّد مهدي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصَّلاة وأتمُّ التَّسليم علىٰ سيِّد ولد آدم أجمعين، وعلىٰ آله وصحبه التَّابعين إلىٰ يوم الدِّين، وبعد؛

فإنَّه لا يليق بالإنسان فضّلا عن طالب العلم أن يعيش في مكانٍ لا يعرف أصله.. إذ الفصل لا يتأتَّىٰ إلَّا بمعرفة الأصل! فما بالك ببلدةٍ قد فاقت ما حولها مِن البلاد قديمًا في القرآن! بل ما بالك ببلدةٍ خرج منها علماء كثرٌ وصلوا بعلومهم إلىٰ مواطن يشار إليهم فيها بكلِّ بَنانٍ؟!

وقد كان العلماء قديمًا يهتمُّون بتأريخ الأماكن الَّتي نشأوا فيها أو انتقلوا إليها اهتمامًا بالغًا؛ فنجد مثلًا الإمام ابن عبد الحَكم المصريَّ يكتب كتابًا في (فتوح مصر)، ونجد الإمام ابن عساكر الدِّمشقيّ يكتب كتاب (تاريخ دمشق) في ثمانين جزءًا، بل نجد العلماء يكتبون كتبًا عن الأماكن الَّتي سافروا إليها أو حتَّىٰ مرُّوا بها في أسفارهم، فيما يسمَّىٰ بكتب الرِّحلة، كالسِّيرافيّ، وابن جبيرٍ، وابن بطُّوطة، وغيرهم...

ذلك لأنَّه كما يقال: مَن لا ماضي له.. لا حاضر له ولا مستقبل! إذ إنَّ معرفة الماضي تدفع الحاضر إلىٰ الحفاظ علىٰ إرثه.. وعندئذٍ فقط يكون له مستقبلٌ مشرقٌ، وما أُتي أهل زماننا هذا إلَّا مِن هذه الجهة.

وإنَّ الاحتلالات الَّتي مرَّت بها بلادنا قديمًا -ولم تزل مستمرَّةً بصورةٍ أكثر مكرًا وخبثًا- لم يكن لها همٌّ إلَّا فصل النَّاس عن تاريخهم، وقطع عَلاقتهم به تمامًا؛ حتَّىٰ يصبحوا عالةً علىٰ غيرهم؛ فيخضعون لثقافة الغالب، ويعتقدون أنَّهم لا يمكن أن يتقدَّموا ولو لخطوةٍ واحدةٍ! لماذا؟ لأنَّهم متخلِّفون!

لكن علىٰ النَّقيض تجد تلك الدُّول الاحتلاليَّة تهتمُّ اهتمامًا شديدًا بأيِّ شيءٍ يتعلَّق بماضيها، حتَّىٰ لأنَّك تجدهم يحتفظون بالحكم الملكيِّ -ولو كان حكمًا صوريًّا-، بل يحتفظون بجماجم الشُّهداء الَّذين قتلوهم في حروبهم الاحتلاليَّة، لا لشيءٍ إلَّا ليأخذوا مِن ماضيهم ذاك عبرةً وعظةً يصحِّحون بهما مسارهم الحاضر، أو دَفعةً وتحفيزًا يضيئون بهما طريقهم المستقبل.

مِن هذا المنطلق بدأت كتابة تأريخ بلدي (**كَفْر رَمَّاحٍ**) منذ فترةٍ علىٰ وسائل التَّواصل الاجتماعيِّ الحديثة، وصراحةً تفاجأت كثيرًا بما وجدته وجمعته.. إذ بلدنا كانت زاخرةً بالعلماء الأفذاذ، والقامات السَّوامق! فكيف انحدر بنا الحال إلىٰ زمنٍ أصبحت البلد وأضحت وأمست متأخرةً في كلِّ شيءٍ، أوَّلها: العلم؟!

لم يخطر علىٰ بالي إلَّا سببٌ واحدٌ، وهو: أنَّها آلت إلىٰ جيلٍ مِن المتشبِّعين بما لم يعطوا.. فلمَّا نظروا إلىٰ الماضي.. لم ينتبهوا لثرائه، بل تقزَّموا أكثر فأكثر.. فكانوا سببًا في ضياع الحاضر، واحلولاك المستقبل!

ولا أخفيكم سرًّا أنِّي كنت منبهرًا بماضينا الَّذي غفل عنه الجيل الَّذي قبلي تمامًا –اللَّهمَّ إلَّا النَّزْر اليسير منهم– انبهارًا بالغًا!

فقد انبهرت باكتشافي أنَّ بلدنا كانت سببًا في نشر العلم في العالم الإسلاميِّ كلِّه، وقت أن كانت وقفًا علىٰ أعظم المدارس الإسلاميَّة العلميَّة في مصر عهد المماليك! بل انبهرت أكثر وأكثر لَمَّا عرفت أنَّ عائلتي لها فضلٌ علىٰ الدُّنيا كلِّها في تعلُّم التَّجويد! ولَمَّا أنبهر بعدُ بشيءٍ مِن التُّراب، أو حدٍّ مِن الحدود!

فالحقُّ: أنَّ البلاد لا تَبني الرِّجال، بل إنَّما تُبنىٰ هي بالرِّجال...

لذلك عندما تقرأ –أيُّها القارئ الكريم– كلامي عن هذه البلد الَّتي أنجبت العظماء.. **فإيَّاك إيَّاك أن تظنَّ أنَّهم عُظِّموا بها، بل اعلم علم يقينٍ: أنَّها هي مَن قد عَظُمَت بهم**.

ربَما يدور في خَلَدك الآن سؤالٌ.. لماذا يذكر ذلك في كلامه؟ ولماذا يقحم عائلته الآن؟

لا بأس عليك مِن هذا؛ فسبحان الله! ما أشدَّ غربة العلم والتَّاريخ حقًّا في هذا الزَّمان! وما أشدَّ الأسىٰ الَّذي يدفع إنسانًا وهبه الله عقلًا ليفكِّر به.. فيكون أوَّل شيءٍ يستعمله فيه هو: ألَّا يفكِّر أصلًا.. فينتج نحو هذا السُّؤال!

الله ﷻ المستعان

وكتبَ

محمَّد مهدي سعيد الْمِيَهِيُّ الأزهريُّ الشَّافعيُّ الأشعريُّ

ليلة الأربعاء في التاسع من شهر شعبان ١٤٤٧هـ

الموافق: الثلاثاء ٢٧/١/٢٠٢٦م

الباب الأوَّل

ما هي كَفْر رمَّاحٍ؟

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل

كَفر رمَّاحٍ لغويًّا

(كَفر رمَّاحٍ) مركَّبٌ إضافيٌّ مِن جزأين: (كَفْر) و(رمَّاحٍ)؛ فماذا تعني كلٌّ مِن الكلمتين؟

إليك:

أوَّلًا: كلمة (كَفْر)

هي مِن التَّغطية والسَّتر، أو الظُّلمة، ونحوها، وتطلق على القرىٰ والأرض المستوية المتَّسعة البعيدة عن العمران والمدن [١].

وليست كلمةً هيروغلفيَّةً أو قبطيَّةً كما يظنُّ البعض، بل هي كلمةٌ عربيَّةٌ ثبتت في حديث سيِّدنا النَّبيِّ ﷺ، كما هو عند الإمام البخاريِّ [٢].

وثبتت أيضًا في كلام أصحابه رضي الله عنهم، كما في الأثر عن سيِّدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وأبي الدَّرداء رضي الله عنه، قالوا: إنَّه مِن فتن آخر الزَّمان: (لتخرجَنَّكم الرُّوم مِن الشَّام كَفْرًا كَفْرًا) أي: قريةً قريةً، ولعلَّ هذا يفسِّر لنا كثيرًا ممَّا يدور الآن مِن كلام الكيان الصُّهيونيِّ عمَّا بين النَّهر إلىٰ البحر... إلخ.

---

(١) العين، للخليل بن أحمد (٣٥٧/٥).

(٢) الأدب الْمُفرد، برقم: ٥٧٩، من حديث سيدنا ثَوْبان رضي الله عنه، بإسناد حسن.

* **فائدةٌ**: قال الشَّيخ الألبانيُّ ﵀ عن أثر سيِّدنا أبي هريرة ﵁: إنَّ رجاله ثقاتٌ غير أبي الحسن الرَّقِّيِّ هذا؛ فلم أعرفه. اهـ.

و**أقول**: إنَّ أبا الحسن الرَّقِّيِّ هذا لعلَّه هو المترجم في كتب الرِّجال باسم: أبي الحسن الجزريِّ ﵀، الرَّاوي عن أبي أسماء الرَّحبيِّ ﵀. والَّذي قد روىٰ عنه ابن الحكم البنانيُّ ﵀، وقد روىٰ له الإمامان أبو داود والتِّرمذيُّ ﵄ بهذه النِّسبة، وذكره الإمام ابن منده ﵀ وغيره، وقال الإمام الحاكم ﵀ فيه: ثقةٌ مأمونٌ. وخطَّأه الحافظ الذَّهبيُّ، والحافظ ابن حجر ﵄، وقالا: بل مجهولٌ.

* **فائدةٌ أخرىٰ**: قال الشَّيخ الألبانيُّ ﵀ أيضًا عن أثر سيِّدنا عبد الله بن عمرٍو ﵄: إنَّ رجاله ثقاتٌ غير أحمد ابن عبُّودٍ؛ فلم أعرفه. اهـ.

و**أقول**: إنَّ أحمد ابن عبُّودٍ هذا، هو المترجم في كتب الرِّجال باسم: أحمد بن عبد الواحد بن واقدٍ التَّميميّ، المعروف بابن عبُّودٍ ﵀، وهو صدوقٌ كما قال الحافظ ابن حجر ﵀ في (التَّقريب).

نرجع إلىٰ اللُّغة...

إن لم نعتبر كلمة (**كَفْر**) عربيةً دخلت إلىٰ مصر مع الفتح الإسلاميّ.. فهي إذًا سريانيَّةٌ آراميَّةُ الأصل؛ لأنَّها بنفس المعنىٰ في هاته اللُّغة، وتطلق علىٰ **القرية الصَّغيرة البعيدة**، وتكون حينئذٍ موجودةً في مصر قبل الفتح الإسلاميِّ، ويرجع انتشارها وقتئذٍ إلىٰ نشاط العَلاقات الَّتي كانت بين قدماء المصريِّين وبين قدماء السُّوريِّين والفينيقيِّين؛ فإنَّها أكثر ما توجد في أرض الشَّام عمومًا [١].

---

(١) معجم أسماء المدن والقرى، لأنيس فريحة (٢٨١)، والمعجم الوسيط (١٢٤٧).

ثانيًا: كلمة (**رمَّاحٍ**)

مأخوذةٌ مِن "**الرَّمْح**"، الَّذي هو: الجري السَّريع بها. ومِن "**الرُّمْح**"، الَّذي هو: آلة الحرب المعروفة؛ فيقال للسَّريع، ولصانعه وللماهر باستعماله: **الرَّمَّاح**.

والعرب كانت تعرف هذا الاسم قديمًا، وتسمِّي به أيضًا. و**بنو الرَّمَّاح** بطنٌ من بطون العرب [١]، وقد كانوا موجدين في مصر إلىٰ وقتٍ قريبٍ في عهد العثمانيّين، وكان بعضهم يسكن المنوفيَّة، وربَّما تكون تسمية بلدنا مأخوذةً منهم، ولكنِّي **لا أرجِّح** هذا القول، بل هو عندي **ضعيفٌ**؛ لما سأذكره في الشِّقِّ التَّاريخيِّ -إن شاء الله تعالىٰ-.

و**الخلاصة** إذًا في هذا الجانب اللُّغويِّ فقط: أنَّ (**كَفْر رَمَّاحٍ**) تعني مِن حيث اللُّغة: قرية الرَّجل الماهر بصنع الرِّماح، أو قرية الرَّجل الماهر باستعمالها، أو قرية الرَّجل السَّريع الجري.

---

(١) المعجم الكبير (١٠٦٨).

المطلب الثَّاني

كَفْر رَمَّاحٍ تاريخيًّا

وها هنا لا بدَّ وأن أذكر لك -أيُّها القارئ الكريم- كيف نشأت فكرة كتابة هذا الكلام أصلًا لديَّ ما دمنا سنتكلَّم أصلًا عن التَّاريخ؟!

مِن عادتي أن أقرأ أثناء تناولي الطَّعام كتابًا أدبيًّا مِن مكتبتي علىٰ الهاتف -كنوعٍ مِن التَّرفيه-، فلمَّا قرأت كتاب (**حياة مجاورٍ، للأستاذ الشَّيخ محمَّد عبد الجوَّاد** رحمه الله) الَّذي يحكي فيه عن حياته كطالبٍ في (المسجد الأحمديّ -الَّذي كان الفرع الثَّاني للجامع الأزهر في طنطا حينئذٍ-).. وجدته تكلَّم عن قريته بشيءٍ شدَّني إلىٰ الكلام عن قريتي أيضًا.

لكنِّي لَمَّا بحثت عنها في المصادر التَّاريخيَّة القديمة.. لم أجد لها أي ذكرٍ علىٰ الإطلاق، وإنَّما وجدت الأستاذ العلَّامة **محمَّد رمزي بك** رحمه الله يقول عنها في (**القاموس الجغرافيِّ**): "أصله من توابع ناحية (**ميت ربيعة**)، ثمَّ فصل عنها في العهد العثمانيّ، باسم: (**كَفْر الرَّمَّاح**). وقفٌ على المدرسة الشَّيخونيَّة بولاية المنوفيَّة، كما ورد في دليل سنة ١٢٢٤هـ. وفي تاريخ ١٢٢٨هـ باسمه الحالي" [١]. اهـ.

---

(١) القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، لمحمد رمزي بك (٣/٢٢٦).

بالمناسبة: كلمة (تاريعٍ) هكذا -بالعين لا الحاء- مصطلحٌ المقصود به: تلك الدَّفاتر الَّتي كتب فيها (رِيع) البلد، وهو ما يخرج منها مِن الأموال والخيرات [1].

بدأت لَمَّا تولَّىٰ محمَّد علي باشا ﵀ مصر سنة ١٢٢٠هـ وتخلَّص مِن المماليك ونظام الإقطاع والالتزام، وأراد فرض الضَّرائب الثَّابتة علىٰ الأطيان مكانها.. أصدر أمرًا في سنة ١٢٢٧هـ بفكِّ زمام جميع أراضي مصر، وفصل النَّواحي الجديدة عن النَّواحي القديمة؛ حتَّىٰ يتسنَّىٰ له تحديد ما يخرج منها بدقَّةٍ يستطيع معها تحديد الضَّريبة اللَّازمة، وأمر بتسمية كلِّ ناحية جديدةٍ باسم الشَّخص الَّذي كان واضعًا يده عليها وقتئذٍ، وسمِّيت هذه الدَّفاتر باسم: (دفاتر التَّاريع).

* **فائدةٌ**: (ميت ربيعة) لم تكن مستقلَّةً، وإنَّما كانت تابعةً لما يسمَّىٰ: (كُفُور سِرس).

* **فائدةٌ أخرىٰ**: يوجد في مصر ثلاث ميت ربيعيَّاتٍ، الَّتي في المنوفيَّة بجوارنا، وميت ربيعة البيضا (البيضاء - البيضة) في بلبيس بالشَّرقيَّة، وميت ربيعة الدَّللا (أو الدَّللة أو السَّوداء) في منيا القمح بالشَّرقيَّة أيضًا.

---

(١) تاج العروس، للزبيدي (٢١/١٤٢).

هذا الَّذي ذكرته يدلُّ على أنَّ بلدنا مِن البلاد الَّتي أنشئت حديثًا في عهد محمَّد علي باشا ﷺ حدود القرن الثَّاني عشر الهجريّ؛ حيث إنَّه أجاب رغبة أصحاب الأملاك ونُظَّار الأوقاف في الاستقلال بالعزب والكفور، وزادت في تلك الفترة جدًّا القرىٰ والكفور المستقلَّة حديثًا إلىٰ عهد ابنه إسماعيل باشا ﷺ الَّذي أوقف ذلك تمامًا؛ لأنَّ أهالي المدن والحواضر كانوا يهربون إلىٰ تلك القرىٰ والكفور؛ خوفًا مِن العمل بالسُّخرة في حفر التُّرع، وبناء الجسور، وكذا مِن الخدمة الإجباريَّة في أراضي الإقطاعيِّين.

وكان اسمها وقتئذٍ هكذا: (**كفر الرَّمَّاح**) –بزيادة الألف واللَّام– إلىٰ ما قبل سنة ١٢٢٤هـ، ولم تحذف منها (**ال**) إلَّا مِن بعد سنة ١٢٢٨هـ.

فلمَّا نشرت هذا الكلام.. دار بسببه نقاشٌ بيني وبين العالم اللُّغويِّ الجليل: **شعبان عيسىٰ أبو العُلا حفظه الله تعالى**.. فكان ممَّا قاله لي: إنَّ أباه المرحوم: عيسىٰ ذكر له قديمًا: أنَّ بلدنا سِمِّيت بذلك؛ لأنَّ **صاحب الوقفيَّة** كان اسمه (**الرَّمَّاح**)!

وقتها لم أهتمَّ كثيرًا بالتَّأصيل لذلك، وإنَّما شُغِلتُ عنه تمامًا بتأريخٍ لبعض كَتَاتيبها، ومساجدها، وعلمائها.

ولَمَّا كان من طبعي أن أقسِّم بقيَّة وقتي على القراءة في مختلف العلوم: فأقول مثلًا هذا الأسبوع ستكون قراءتي فيه تاريخيَّةً، أو أدبيَّةً، أو فلسفيَّةً... وهكذا.. قلت لنفسي: لماذا لا أجعل قراءة هذا الأسبوع التَّاريخيَّة عمَّا يتعلَّق ببلدنا؟

مِن هاهنا نشأت الفكرة...

ولنرجع إلىٰ التَّاريخ...

في حقيقة الأمر بلدنا ليست موجودة في التَّاريخ القديم بمسمَّاها الحاليّ، وإنَّما هي مِن البلاد الحديثة.. كيف ذلك؟

البلاد قديمًا كانت تنقسم إلى قسمين: قسمٍ سكنيّ، وهذا يجمّع فيه النَّاس داخل سورٍ كبيرٍ، أو شارعٍ من جانبين عليه بابٍ من ناحيةٍ، ويكون مسدودًا بدارٍ في آخره.. وذلك حتَّىٰ يغلق في آخر اللَّيل تأمينًا من السَّرقة ونحوها.

وقد شاهدت هذه الأبواب في بلدنا، وآخر بابٍ فيها كان الموجود عند الحارة الَّتي تسمَّىٰ بـ(**حارة الأربعين**)، وسأبيِّن لك فيما بعد -إن شاء الله تعالىٰ- أنَّها تسميةٌ مخترعةٌ لا أساس لها!

المقصد: أنَّ الجهة الرَّئيسيَّة الَّتي كان فيها السَّكن كانت: (مِيت ربيعة)، والَّتي كانت ضمن كفور (سرس اللَّيَّان، أو كما كان اسمها: سرس القِثَّاء؛ لشهرتها ببيع القِثَّاء -الَّتي تباع مع الخيار-).

ولم يكن أهل بلدنا الحاليّين موجودين فيها، كما لم يكن أهل (ميت ربيعة) الحاليّين هم أهلها الأوَّلون.

وكذا لم يكن لبلدنا اسمٌ بعد، ولم تكن أيضًا من أملاك أحدٍ، وإنَّما كانت كلُّها ملكًا للأمير **قاني باي الرَّمَّاح** رحمه الله، ومن هاهنا نبدأ أصل التَّسمية...

الأمير قاني باي الرَّمَّاح ﵀

لو أنَّك تركت القراءة الآن، ونظرت مباشرةً إلىٰ مائتي جنيهٍ مصريٍّ –هذا إذا كنت تملكها أصلًا ههههه–.. ستجد عليها مسجدًا؛ اقرأ اسم هذا المسجد المكتوب في أسفل الورقة يسارًا...

أوجدته؟

نعم: إنَّه مسجد **قاني باي الرَّمَّاح**.. فمن هو إذًا؟

هو الأمير **قاني باي الرَّمَّاح** المملوكيِّ، الكائن مسجده هذا أمام مسجد السَّلطان حسنٍ، قريبًا مِن المدرسة (**الشَّيخونيَّة**)، واحفظ اسم هذه المدرسة؛ لأنَّنا سنحتاجه قريبًا.

هذا الأمير كان مملوكًا للسُّلطان الملك **الأشرف قايتباي** ﵀، وأعتقه السُّلطان لَمَّا شبَّ، وأعطاه فرسًا وقماشًا، وعيَّنَه في جملة المماليك (**الجمداريَّة**)، يعني: الَّذين يكلَّفون بملابس السُّلطان ﵀، وتلك مَهمَّةٌ لم تكن تعطىٰ إلَّا لمملوكٍ ثقةٍ؛ خوفًا علىٰ السُّلطان.

لبث قاني باي في الجمداريَّة قليلًا، ثمَّ ترقَّىٰ (**سلحدارًا**) بالقصر، يعني: مسؤلًا عن السِّلاح.

ثمَّ لم يلبث إلَّا قليلًا بعد فيها، وجعله السُّلطان (**مقدَّم عشرةٍ**)، يعني: أميرًا علىٰ عشرة جنودٍ محاربين.

ثمَّ بعدها مباشرةً جعله (**مقدَّم ألفٍ**)، يعني: أميرًا علىٰ ألف جُنديٍّ محاربٍ.

إلىٰ أن أثبت كفاءته في الْمَهمَّات السُّلطانيَّة في عهد السُّلطان الملك **الأشرف أبو النَّصر قانصوه الغوريِّ** رحمه الله.. فجعله (**أمير آخور**)، يعني: أمير الإسطبل الحربيِّ، وهذه رتبةٌ عاليةٌ جدًّا في ذلك العصر؛ لأنَّ سلاح الفرسان في ذلك الوقت كان عصب الجيش البرِّيِّ وقوَّته الضَّاربة، ذلك الَّذي يوازيه اليوم: سلاح المدرَّعات ونحوها.

المهمُّ كان لهذا الأمير أملاكٌ في شتَّى محافظات مصر -شيءٌ يشبه **الإقطاعيّات والوسايا** الَّتي يهديها السُّلطان لأمرائه-، ومِن أملاكه هذه: بلدنا وما حولها.

وكان مِن عادة الأمراء حينئذٍ: أن يوقفوا جزءًا مِن أملاكهم علىٰ المساجد وطلبة العلم وأوجه الخير، بمعنىٰ: يقول: هذه القطعة مِن أرضي أصبحت وقفًا علىٰ المسجد الفلانيِّ.. إذا كلُّ ما يخرج منها يصرف في مصالح هذا المسجد... وهكذا.

وقد وصف العلَّامة المؤرّخ الكبير **ابن إياسٍ** [١] قاني باي هذا: بأنَّه كان أميرًا جليلًا، مبجَّلًا مُعظَّمًا، في سَعةٍ مِن المال والسِّلاح، وكان في مَلاءةٍ مِن كلِّ شيءٍ.

وكان مشهورًا بالشَّجاعة والفروسيَّة، وشدَّة البأس، مع قسوةٍ جعلته مِن أقوىٰ أمراء المماليك في عصره.

وكان ماهرًا باستعمال **الرِّماح**؛ ولذلك أطلق عليه لقب: **الرَّمَّاح**. اهـ.

ولَمَّا أراد الأمير قاني باي الرَّمَّاح أن يوقف بلدنا الَّتي كانت من أملاكه في أوجه البرِّ..

اختار أفضل وجهٍ يوقف عليه اموالهِ، وهو وجه العلم، ونظر.. فلم يجد أفضل من المدرسة (**الشَّيخونيَّة**).

ولا بدَّ هنا أن تعرف أهميَّة هذه المدرسة في هذا الوقت.. حتَّىٰ تعرف أهميَّة بلدنا!

فلْأُحدِّثك قليلًا إذًا عن تلك المدرسة العظيمة...

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس (٤/٤٥٠).

المدرسة الشَّيخونيَّة

كانت المدرسة (**الشَّيخونيَّة**) الموجودة حاليًا في شارع الصَّليبيَّة الكائن بين ميدان قلعة صلاح الدِّين وميدان حيِّ السيِّدة زينب ﵍ بالقاهرة **أشهر** المدارس في وقت هذا الأمير، و**أهمَّها**؛ حيث كانت قد بناها الأمير **شيخو** أو **شيخون العمريُّ** ﵀، الَّذي كان أتابكي -يعني: قائد الجيش-، وعضو مجلس مشورة السُّلطان الملك **الصَّالح بن محمَّد بن قلاوون** ﵀، وصرف عليها أموالًا طائلةً، وكان نظامها كالتَّالي:

أوَّلًا: يقرأ فيها سُبع القرآن يوميًّا مِن غير انقطاعٍ.

ثانيًا: يقعد فيها أربعة دروسٍ للفقه علىٰ المذاهب الأربعة.

ثالثًا: يحضر فيها الصُّوفيَّة لذكر الله ﷻ يوميًّا مِن بعد صلاة العصر إلىٰ اللَّيل.

* **فائدةٌ**: التَّصوُّف نوعان:

تصوُّفٌ سُنِّيٌّ، وهذا هو مقام الإحسان، المقصود به: الاجتهاد في العبادة، وذكر الله ﷻ، ومراقبته ﷻ في جميع الأحوال، والتَّخلُّص من الرَّذائل، والتَّحلِّي بالفضائل.. وذلكم هو الَّذي دلَّنا عليه سيِّدنا النَّبيُّ ﷺ، وأمرنا به.

و**تصوُّفٌ بِدعِيٌّ**، وهذا هو الَّذي يشتمل علىٰ طرقٍ غير مرضيَّةٍ، مشحونةٍ بالمنكراتِ، نحو اختلاط الرِّجال بالنِّساء، وشرب للمحرَّمات، وفسقٍ...

وذلك ليس تصوُّفًا أصلًا، وإنَّما هو فسقٌ مَنهيٌّ عنه شرعًا، ولكنَّ فاعليه تسمُّوْا باسم التَّصوُّف زورًا؛ حتَّىٰ يتسنَّىٰ لهم تبرير هذا الفسق باسم الدِّين.

* وفي نفس الوقت تلقَّف هذا بعض الجهلة -سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان-، ممَّن أضمروا نيَّاتٍ خبيثةٍ.. فربطوا بين التَّصوُّف الَّذي كان عليه علماء الأمَّة سلفًا وخلفًا وبين هذا التَّصوُّف البدعيِّ.. حتَّىٰ يوهموا النَّاس أنَّه لا يوجد تصوُّفٌ سُنِّيٌّ أصلًا؛ فيكون العقل الجمعيُّ والتَّصوُّر الأوَّليُّ عن التَّصوُّف مرتبطًا ارتباطًا ابتدائيًّا بتلك الصُّورة المنهيِّ عنها شرعًا، وبالتَّالي تكون النَّتيجة: أنَّ التَّصوَّف كلَّه بدعيٌ، ومنهيٌّ عنه شرعًا!

وهذا لعمري خطأٌ عظيمٌ، وخبثٌ هائلٌ، وقد نبَّهتُك علىٰ الفرق بين التَّصوُّف الحقِّ، الَّذي قال فيه أئمَّته: أمرنا هذا قائمٌ علىٰ الشَّرع، وبين التَّصوُّف الباطل؛ فالأوَّل صاحبه: مُتصوِّفٌ، والثَّاني: متمَصوِفٌ -أي: مُدَّعٍ للتَّصوُّف-...

فتنبَّه! وسَبِّح واهب العقول ﷻ.

ولنرجع إلىٰ (الشَّيخونيَّة)...

كانت تلك المدرسة العظيمة تضمُّ أطيافًا مِن العلماء الكبار، وفي نفس الوقت هي قريبةٌ مِن مسجد قاني باي الَّذي كان قد بناه في نفس الشَّارع.. فجعل هو بلدنا وقفًا علىٰ تلك المدرسة، بمعنىٰ: أنَّ كلَّ ما كان يخرج مِن أرض (**كَفْر الرَّمَّاح**) مِن الأرباح.. يُصرَف علىٰ المدرسة الشَّيخونيَّة هذه، وبذا تكون بلدنا هذه بلدًا ذات فضلٍ كبير في ثراء الحركة العلميَّة الإسلاميَّة.

فهذه المدرسة الَّتي كانت بلدنا أحد الرَّوافد الأساسيَّة لإحيائها قد درَّس فيها أكبر علماء العالم الإسلاميِّ كلِّه إلىٰ يومنا هذا:

كشيخ الإسلام: **أكمل الدِّين البابرتِيّ الحنفيِّ الماتريديّ** رَحِمَهُ اللهُ (الَّذي تقرأ كتبه وشروحه في الفقه وأصوله، والتَّوحيد والعقيدة الدُّنيا بأسرها).

وأمير المؤمنين في الحديث، شيخ الإسلام: **ابن حجر العسقلانِيّ الشَّافعيِّ الأشعريِّ** رَحِمَهُ اللهُ (أعظم شارحٍ لصحيح الإمام البخاريِّ).

وشيخه القاضي الكبير: **صدر الدِّين المناويِّ الشَّافعيِّ الأشعريِّ** رَحِمَهُ اللهُ.

وشيخ البلاغة في وقته وإمامها: **بهاء الدِّين السُّبكيِّ الشَّافعيِّ الأشعريِّ** رَحِمَهُ اللهُ.

وأخيه شيخ الإسلام وقاضي القضاة، فريد عصره: **تاج الدِّين السُّبكيِّ الشَّافعيِّ الأشعريِّ** رَحِمَهُ اللهُ.

وحامل لواء المالكيَّة وعمدة المذهب في الدُّنيا كلِّها، الإمام: **خليل بن إسحاق الجنديّ المالكيِّ الأشعريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ.

وشيخ القرَّاء والعربيَّة في زمنه بلا مدافع، الإمام: **شمس الدِّين الغماريّ المالكيِّ الأشعريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ.

وشيخ الإسلام في كلٍّ، حافظ زمانه: **جلال الدِّين السُّيوطيِّ الشَّافعيِّ الأشعريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ.

وغيرهم الكثير والكثير مِن العلماء الأفذاذ الَّذين أوسعوا الدُّنيا علمًا، وكانت جراياتهم هم وطلَّابهم -أي: نفاتهم- مِن بلدنا (**كَفْر رمَّاحٍ**).

و**الخلاصة**: أنَّ بلدنا كانت أرضًا مملوكةً للأمير قاني باي الرَّمَّاح، وكان كلُّ ما يخرج منها يذهب إليه، وهو جعلها بعدُ وقفًا علىٰ المدرسة (**الشَّيخونيَّة**)؛ فأصبح كلُّ ما يخرج منها يصرف في مصالحها، وكانت تسمَّىٰ حينئذٍ (**كَفْر الرَّمَّاح**)؛ نسبةً إلىٰ هذا الأمير، ثمَّ حذفت (**ال**) مِن كلمة (**الرَّمَّاح**)، وأصبحت تسمَّىٰ (**كَفْر رمَّاحٍ**)، ومعنىٰ هذه التَّسمية بعد الجمع بين الجانبين اللُّغويِّ والتَّاريخيِّ: بلد الأمير الرَّمَّاح، أي: الماهر في استخدام الرِّماح في الحروب...

إلىٰ ها هنا أتركك فترةً.. حتىَٰ أتفرَّغ مِن بعض مشاغلي، وبعدها -إن شاء الله تعالىٰ- سأرتِّب أو أجعل بعض النَّابهين مِن طلَّابي يرتِّب ما كتبته علىٰ وسائل التَّواصل الاجتماعيّ مِن تأريخٍ للمساجد والكتاتيب والعلماء، وأضيفه إلىٰ ما ها هنا، وسأتكلَّم بعده عن أحوال البلدة، وأذكر الأسباب الَّتي أدت بها إلىٰ ما هي عليه اليوم، وأذكر أيضًا ما يجب أن يتنبَّه له أولادنا في المستقبل.. حتَّىٰ ينهضوا بها نهضةً تعيد لها أمجادها الَّتي ذكرت طرفًا منها، وفي نفس الوقت أذكر مميِّزاتها الَّتي تخفىٰ علىٰ الكثيرين؛ لأنَّه مِن الإنصاف إذا أردت ذكر سيئةٍ.. ألَّا تطمس ذكر الحسنة بَعدُ؛ فإنَّ ذلك هدمٌ وردمٌ، وليس بناءً وتشييدًا.

ونعم ما أكتبه سيقرأ شئت أنت -أيُّها القارئ الكريم- أو أبيت؛ فإلىٰ اللِّقاء -إن شاء الله تعالىٰ-.

يتبع...

وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه وتابعيه.

والحمد لله ربِّ العالمين.

محمد مهدي